حول تسبيح جميع الأشياء
بحمد رَبِّها سبحانه وتعالى

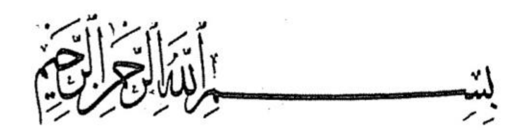


الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ
مع العالم - موقف تعليم الكتاب)

من الصفحة ١٩٥ حتى الصفحة ٢٠٨

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما



الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ أما بعد:

لقد بَيّن القرآن الكريم في سياق الأدلة والبراهين القاطعة على حَقِّيَّة قضايا الإيمان، وعلى أن الله تعالى حق واجب الوجود، بَيّن أَنّ العوالم كلها: الشمسية والقمرية، والكوكبية، والأرضية، والبحار والأنهار، والأشجار والجمادات، وجميع الأشياء، تدل دلالة قاطعة على أَنّ الله تعالى حقٌّ، وأَنّ هذا العالم مخلوق وله خالق هو الله سبحانه.

فجميع الأشياء تدل على أَنّ الله حق، وهذا وجه الاستدلال العقلي الذي جاء القرآن بالبراهين القاطعة على حَقِّيَّته.

وَمِنْ وجه آخر فإنّ جميع الأشياء تشهد شهادة قاطعة أَن الله حقٌّ، وأنه رب العالمين ـ أما أن الأشياء كلها تدل دلالة قاطعة على أَنّ الله حق، وأنه رب العالمين فسيأتي بيانه لاحقاً في محاضرات خاصة. وأما شهادة جميع الأشياء أنه لا إلّه إلا الله فقد تقدم بيان بعض ذلك في المحاضرات السابقة ـ وإن جميع الأشياء تشهد أنه لا إلّه إلا الله شهادة حق، وشهادة قول ونطق وإدراك، لا أنها تَشهد بدلالة الحال ـ فإن هذا سيأتي بيانه لاحقاً ـ بل إنها تشهد شهادة قول

عن علم وإدراك ومعرفة أنّ خالقها هو رب العالمين، وهذا أمر أخبر عنه القرآن وشهدت له الوقائع، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ﴾ أي: وما من شيء ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

ويقول سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

وهاتان الآيتان تدلان دلالة واضحة على أن جميع الأشياء تعرف ربها، وأنه لا إلّه إلا الله، وهي تسبح ربّها تسبيحاً حقيقياً.

ولا تتأول أيها الإنسان هذه النصوص القرآنية التي تخبر عن تسبيح الأشياء لله تعالى، وتزعم بأن تسبيحها ليس تسبيحاً حقيقياً؛ وإنما هو من باب الاستدلال، أو تُسَبِّحُ بلسان الحال أو من باب اللزوم.

واعلم أنّ الله تعالى أنزل هذه الآيات، وبَيَّن فيها أنّ جميع الأشياء تسبح بحمد ربها، ليجعل ذلك حجة على المنكرين إلى يوم الدين.

ولقد أوقع الله وقائع وأموراً تُسمع فيها تسبيح الأشياء لربها، وأقام الله بها الحجة على المنكرين، ولو لم يكن هناك وقائع تثبت ذلك لما قامت الحجة على المعاندين. فلابد إذاً لهذا الخبر الذي أخبر الله به عن تسبيح الأشياء لابد له من وقائع وحقائق تثبته وتؤكد حَقِّيَّتَهُ.

وقد يقال: إننا لا نسمع ذلك ولا نفقه هذا التسبيح، فقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: لأن اللغة تختلف عن لغتكم، والإدراك يختلف عن إدراككم، ومنطق الأشياء يختلف عن منطقكم، فلا تفاهم بينكم وبينها.

وليس عدم سماعك أيها الإنسان تسبيح الأشياء دليلاً على أنها لا تسبح، إذ إن هناك أناساً هم صفوة الخلق، وخيرة الخلق، وأصدق الخلق، قد سمعوا ذلك، وأخبروا عن ذلك، وهم أنبياء الله ورسله، وأعظمهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان يَسمع تسبيح الأشياء، وسمع الصحابة ذلك، حتى نُقل ذلك إلينا، فلا فرق بين أننا سمعنا أو سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، بل إنّ سماعه صلى الله عليه وآله وسلم أشد وأقوى من سماعنا، لأنه أصدق خلق الله، وأوثقهم، وأقواهم على سماع وفهم ذلك.

فخذ هذا الخبر بالتصديق وكأنك سمعته، لأنّ الأمر ليس موقوفاً على سماعك أو فهمك، فقد تسمع أصوات الطيور وهي تسبح الله ولا تفهم ذلك، ولكنك لا تسمع تسبيح الجمادات وغيرها، ولكن هناك من أسمعه الله ذلك، وفَهَّمَهُ منطق كل شيء، فسمع وفهم، وهم رسل الله تعالى، وأعظمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمن الأمور الواقعية في ذلك:

روى الترمذي والدارمي في سننهما، وغيرهما[1]، عن سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال: (كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الترمذي في كتاب المناقب، باب /٨/ (٣٦٣٠)، والدارمي في المقدمة ص (١٢)، وينظر دلائل النبوة للإمام البيهقي (١٥٣/٢).

فالأشجار والأحجار تَعلم خالقها، وأن لا إلّه إلا الله، وأنّ هذا محمدٌ رسول الله، فراحت وسلمت عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وسمع ذلك سيدنا علي رضي الله عنه بنور من رسول الله؛ كَشف له عن ذلك فسمع وفهم.

وروى الإمام أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه [1]، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»

وفي الحديث [2] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع حصيات أو قال: تسع حصيات، فأخذهن في كفه فسبحت في يده صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأراد أن يسمع الصحابة ـ ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحت، ثم في يد عمر، ثم في يد عثمان فسبحن) والصحابة يسمعون تسبيح الحصيات ويفهمون تسبيحها ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذلك الأشجار تعلم خالقها وربها، ولو أنك سألتها مَن خلقك وَشَجَّرك وَفَرَّعك وثمرك؟ لقالت: الله، ولكن الله جعل حجاباً يحول بينك وبين فهم ذلك، لحكمة منه سبحانه، منها: أن الإيمان في

---

(١) المسند (٥/٨٩)، صحيح مسلم في أول كتاب الفضائل (٢٢٧٧) عن سيدنا جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) عزاه في مجمع الزوائد (٨/٢٩٨) إلى البزار والطبراني، وانظر السيرة الشامية (١٠/١٣٥).

هذا العالم يجب أن يكون غيبياً، حتى يظهر اختيار الإنسان في قضايا الإيمان، وأخبار القرآن، ولو كان الأمر عياناً لَمَا عاد هناك اختيار في الإيمان بل صار اضطرارياً، إذ إن الكل عندئذ يسمعون ويرون ولم يعد للتكليف سرٌ.

ومن ناحية أخرى لو كشف لك الحجاب عن تسبيح جميع الأشياء، وسمعت ذلك وفهمت؛ لطاش عقلك من كثرة الأصوات وقوتها، وهذا لضعف نشأتك الإنسانية التي أنشأك الله بها، فمن رحمته سبحانه ستر ذلك عنك.

ومما ورد في شأن الأشجار، ما روى الترمذي وأحمد وغيرهما[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بم أعرف أنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: «أرأيت إن دعوت هذا العذق ـ جذع شجرة ـ من هذه الشجرة تشهد أني رسول الله».

قال: نعم. فدعاه صلى الله عليه وآله وسلم فنزل من النخلة حتى سقط إلى الأرض، وتوجه إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع فرجع. فآمن الأعرابي.

وعن يعلى بن مرَّة الثقفي رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في مسير ـ فذكر الحديث إلى أن قال ـ: ثم سرنا حتى نزلنا منزلاً، فنام

---

(١) المسند (١/٢٢٣)، والترمذي في كتاب المناقب باب /٩/ (٣٦٣٢)، وينظر في السيرة الشامية (١٠/١٢٣).

رسول الله ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته - وفي رواية[1]: حتى طافت به - أي: دارت حوله - ثم رجعت إلى مكانها.

فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرتُ له ذلك.

فقال: «شجرة استأذنت ربَّها في أنْ تسلم علَيَّ فأذن لها»[2].

وفي هذا دليل على أنه ﷺ عَلِمَ بمجيئها قبل إخبار يعلى له بذلك، وكان ذلك وهو ﷺ نائم، فكان ﷺ تنام عيناه وقلبه يقظان، فحين زارته الشجرة وسلمت عليه عَلِمَ بذلك وشعر؛ فحصل مقصودها.

وروى الدارمي، وابن حبان، والحاكم وصححه[3]، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فأقبل أعرابي فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «أين تريد»؟

قال: إلى أهلي.

فقال: «هل لك إلى خير»؟

قال: وما هو؟

قال: «تشهد أن لا إلٓه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله» أي: دعاه إلى الإسلام.

---

(١) كذا في شرح الزرقاني على المواهب (٦/ ٥٢٠) وحجة الله على العالمين للشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى.

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٧٣)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٩/ ٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٣).

(٣) الدارمي في المقدمة ص (١٠)، وابن حبان (٨/ ١٥٠)، والمستدرك (٢/ ٦٢٠).

فقال الأعرابي: هل مِنْ شاهد على ما تقول؟

قال: «هذه الشجرة» ـ وأشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى شجرة على شاطئ الوادي ـ فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشجرة فجاءت تخدُّ الأرض خداً، حتى وقفت أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستشهدها ثلاث مرات أنه رسول الله فشهدت، ثم رجعت إلى منبتها؛ والأعرابي يسمع.

فقال الأعرابي: أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله. ثم استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يمضي إلى قومه ليدعوهم إلى الله تعالى. ولقد سمع ذلك الصحابة رضي الله عنهم، وحدَّثوا بذلك، ليبقى حجة على المنكرين إلى يوم الدين.

ومن ذلك حنين الجذع وصياحه شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمّا فارقه إلى المنبر. وإن حديث الجذع متواتر[1]، وهو أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يخطب إلى جذع نخلة يابسة في جهة القبلة من المسجد النبوي، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يجعل ظهره الشريف إليها، ويستقبل الناس، فاستأذنه بعض الصحابة أن يصنع منبراً بثلاث درجات، فلما جاوز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجذع وصعد المنبر، صاح جذع النخلة ـ وفي رواية: فحن الجذع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حنين الناقة ـ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب الخطبة علىالمنبر (٩١٨)، وينظر السيرة الشامية (١٠/١١٣) وما بعدها فقد توسع في تخريج حديث حنين الجذع إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وسمع الصحابة ذلك، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فضمه إليه كالصبي المسكِّن - أي: وكأنه يُسكن صبياً من روعه - فهدأ الجذع، وأعلن صلى الله عليه وآله وسلم أنه حَنّ لفراقه، ولأنه كان يسمع الذكر.

فلقد تألم الجذع لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحزن لِمَا فاته من قُرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتأثره وطربه بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب.

ومما جاء في تسبيح الطيور قوله سبحانه فيما أعطى لسليمان عليه السلام قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦] فالطير لها منطق ثابت بنص القرآن الكريم، وقد علّم الله سليمان عليه السلام منطق الطير، ولقد أعطى الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، فكان يَسمع تسبيح الطيور ويفهم عنها، كما ورد في الحديث الذي رواه الخطيب(١) والبيهقي وغيرهما، عن أبي ضمرة قال: كنا عند علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين صباح يوم، فمرت عصافير وهي تصيح، فقال الإمام زين العابدين لمن حوله: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا ندري.

قال: أما إني لا أقول لكم إني أعلم بالغيب، ولكن حدثني أبي، أنّ أباه حدثه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الطير إذا أصبحت سَبَّحت ربَّها وسألته قوت يومها» وكل إنسان يشهد هذا صباحاً.

قال الإمام زين العابدين: وهذه العصافير تسبح الله سبحانه.

---

(١) في تاريخ بغداد (٥/٦٦).

ويقول سبحانه: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ﴾ أي: إن كل مَنْ هو في السماء ومَن هو في الأرض، من إنسان وطير وغير ذلك، كُلٌّ قد علم صلاته لله، وتسبيحه لله، بتعليم مِن الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١] أي: عليم بتسبيحهم وصلاتهم وسؤالهم وعليم بالمَسَبِّح منهم، والغافل منهم، وهكذا هو سبحانه عليم بما يفعلون.

وإذا غفل الطير عن تسبيح الله اعترته آفة أو صاده إنسان، كما ورد في الحديث الذي رواه ابن راهويه، عن الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما صِيدَ صيدٌ إلا لقلة التسبيح»[1].

وقد روي أن سليمان عليه السلام كان جالساً وحوله أتباعه فصاح القمري فقال: أتدرون ما يقول؟

قالوا: ما ندري يا نبي الله.

فقال: إنه يقول: سبحان ربي الأعلى.

ثم صاحت القنبرة فقال: أتدرون ما تقول؟

قالوا: لا ندري يا نبي الله.

قال: إنها تقول: اللهم العن مبغض محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما صاح الديك قال: أتدرون؟

قالوا: ما ندري يا نبي الله.

---

(١) ينظر في المطالب العالية (٣/٢٥٤)، رقم (٣٤١٥) وقد ذكر له قصة.

قال: يقول: اذكروا الله يا غافلون. أي: أمرهم بذكر الله في ذلك الحين؛ وإلا فهو يسبح في حين آخر.

وروي في الصحيح[1]، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً» فالديك إذا تراءى له ملك صاح وسبح الله تعالى، لما رأى من الجمال والمهابة، وإذا سمعتَ ذلك فاسأل الله لأنّ الملك حاضر، ويسمع دعاءك، ويؤمّن عليه، وإنّ تأمين الملك مُجاب عند الله تعالى فافهم.

ومما ورد في سماع الصحابة لتسبيح الطعام والشراب في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما روى البخاري[2]، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فطلبوا الماء فلم يجدوه، فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدعا بفَضل ماء - أي: بما بقي عندهم من ماء - فجيء بإناء فيه ماءٌ قليل، فأدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده في الإناء، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لهم: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله تعالى».

---

(١) شطر حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٣٢١)، وهو في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق باب /١٥/ (٣٣٠٣)، وصحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك (٢٧٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٩)، وهو في المسند للإمام أحمد (١/٤٦٠)، وينظر سنن الترمذي أبواب المناقب، باب /١٤/ (٣٦٣٧) والنسائي (١/٦٠).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وفي رواية ابن مردويه وغيره: «كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه وهو يشرب» الحديث[١].

كما أَنّ الحيوانات والبهائم تَشهد أن الله خالقها، وأنه لا إلٓه إلا الله وأَنّ محمداً رسول الله، ومما ورد في ذلك، ما روى أبو الشيخ وابن مردويه ـ كما في الدر المنثور ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله عن قتل الضفادع وقال: «نقيقها تسبيح».

وقالت الضفدع يوماً لسيدنا داود عليه السلام ـ وكان جالساً إلى جانب النهر في بيت المقدس في تلك الليلة يصلي، فقالت له الضفدع ـ: يا نبي الله نحن طائفة الضفادع لَمْ نزل من أول الليل حتى الفجر نُسبح الله على رِجْلٍ واحدة. أي: إن الضفادع اجتمعت في تلك الليلة وأحيت الليلة مع داود عليه السلام وهي تسبح الله على رِجْلٍ واحدة.

فلا تغتر أيها العابد بنفسك، إن أحييت ليلة بذكر الله، فالضفادع تمكث ليالي وهي تسبح الله بصدق وإخلاص.

وروى أحمد في مسنده وغيره[٢]، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل. أي: وهم يتحدثون مع الناس.

---

(١) تنظر السيرة الشامية (١٠/١٥).

(٢) المسند (٣/٤٣٩)، وعزاه في مجمع الزوائد (٨/١٠٧) إلى أحمد والطبراني.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم لهم: «اركبوها سالمة، ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الأسواق والطرق» أي: لأن وقوف الدابة فترة طويلة أمرٌ يتعبها ويشق عليها «فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكراً لله تعالى منه».

كما لو ركب كافر دابة فهي خير منه، لأنّها تذكر الله تعالى وهو لا يذكر الله تعالى.

وروى أحمد بالسند الجيد، والترمذي وصححه، والحاكم وصححه، ورواه البيهقي وغيرهم[1]. وقد روي هذا الحديث عن أربعة من الصحابة: أبي هريرة وابن عمر وأنس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.

ففي رواية أبي سعيد رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي ـ وكان الراعي مشركاً ـ فانتزعها منه. فأقعى الذئب على ذنبه وقال: ألا تتقي الله، تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ؟!!.

فقال: يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس.

فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك، محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. وفي رواية: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النخلات بين الحرتين، يحدث الناس عن نبَأِ ما سبق وما يكون بعد ذلك.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٣٠٦) و(٣/٨٣ ـ ٨٤)، وفي سنن الترمذي (٢١٨٢) بعضه ـ شطره الآخر ـ، المستدرك (٤/٤٦٧)، وصحيح ابن حبان (٨/١٤٤)، وفي دلائل النبوة للبيهقي (٦/٤١).

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره.

وفي رواية: وقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا صليت الصبح معنا غداً، فأخبر الناس بما رأيت..» الحديث، ففعل ذلك وأخبر الصحابة عما سمع من الذئب. فالذئب يعلم أن محمداً رسول الله فهو يعلم أن لا إلّه إلا الله ونطق بذلك.

وهذا من جملة معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أظهرها الله تعالى حجة على المشركين، أَنْ أنطق كثيراً من الجمادات وأسمع ذلك للبشر، حتى يكون ذلك حجة على المنكرين باقية إلى يوم الدين.

وكذلك النمل تشهد أن لا إلّه إلا الله وهي تَعلم خالقها:

فقد روى البخاري ومسلم(١)، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قرصت نملة نبياً من الأنبياء» أي: من أنبياء بني إسرائيل «فأمر بقرية النمل فأحرقت» أي: محل اجتماعها أو سكنها «فأوحى الله إليه أنْ قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح».

فالنمل أمة من الأمم تسبح الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي: لا تفهمون تسبيحهم رحمة بكم،

---

(١) البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ١٥٣/ (٣٠١٩)، ومسلم في آخر كتاب السلام (٢٢٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

ولكن لأجل أن توقنوا بذلك كشف للأنبياء والرسل وأسمعهم ذلك، وأسمعوا أصحابهم ذلك، حتى يكون سماعهم حجة على المنكرين إلى يوم الدين.

ونسأل الله تعالى التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

